مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار الرابع
المجلد (٢) العدد (٢)
٢٠٢١ (٧٢-٩٠)

مجلة أنساق

Middle East Institution of scientific Publishing

التّـــــــواصُلُ الْبيـــــــداغُوجي والمُتَعلِّم الصَّامِت اخْتِيَارِيًّا: بَيْنَ المُعِيقِ والعِلَاجِ

دكتور كمال عبد السلام خليفي

علم اجتماع التواصل، المعهد العالي للعلوم الإنسانية بمدنين،

جامعة قابس، تونس

البريد الإلكتروني: **khlifikamel@hotmail.fr**

نشر إلكترونياً بتاريخ: **٢٠٢١/٧/١٩**

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخّص

اشتغلنا في بحثنا على دراسة التّواصل البيداغوجي، وحدّدنا عناصره وبعض أشكاله وجملة من معيقاته. وركّزنا على دراسة وتحليل عوائقه. ومن بين هذه العوائق نذكر، اضطرابات التّواصل. وقد اخترنا دراسة حالة نادرة نسبيًّا تعرف بـــ"الصّمت الاختياري"، حيث حاولنا التعرّف على أهمّ أبعاد هذه الظّاهرة ومدى وعي المدرّسين بمثل هذه الاضطرابات. واهتممنا بدراسة مدى تأثيرها على عمليّة التّواصل البيداغوجي. كما بحثنا عن بعض الحلول التي تجعل من التّواصل وسيلة لعلاج هذه الظاهرة. وللتحقّق من ذلك أجرينا بحثا ميدانيا. وقمنا بدراسة حالة لمتعلّمة تشكو من اضطراب متمثل في عدم التواصل اللفظي مع المحيطين بها من أترابها ومعلميها في الفصل، دون غيرهم من أفراد عائلتها الذين تتواصل معهم بصفة عادية. وقد أجرينا هذه الدّراسة، بُغية التمكّن من إزالة هذه العوائق التّواصلية من ناحية ولإرساء تواصل فعّال وناجح داخل القسم يخدم الفعل التّربوي من ناحية أخرى. وبعد إجراء البحث الميداني من خلال الملاحظة بالمشاركة، والمقابلات الموجهة ونصف الموجهة، خلصنا إلى النتائج التالية: المتعلّم الصّامت اختياريا يمثل عائقا أمام عمليّة التّواصل البيداغوجي، والمتمثلة في انعدام التفاعل مع المدرّس من ناحية، ومع تلاميذ الفصل من ناحية أخرى. تؤثّر كفايات المدرّس التواصليّة على حالة المتعلّم الصّامت اختياريا، من خلال اقصائه من عملية التّواصل البيداغوجي. يُساعد التّواصل غير اللّفظي، في علاج حالة المتعلّم الصّامت اختياريا، من حيث ادماجه داخل جماعة القسم، والتخفيف من حدّة الضغط النفسي والإحساس بالعجز، أمام عدم القدرة على الكلام كبقيّة أترابه.

الكلمات المفتاحية: التواصل، التواصل البيداغوجي، العائق، حالة الصمت الاختياري، اضطرابات التواصل

Abstract

We have already worked in our study on the pedagogic communication and we have limited its factors and the obstacles and we can concentrate on the difficulties analyse among the

difficulties, we mention the communicative troubles. Hence, we choose to study a relatively rare case the so called the “optional silence” so, we concentrate on the dimensions of this phenomena and the teacher’s awareness of the troubles and its impact on the pedagogic communication process. Moreover, we have looked for the solutions that way make communication as a means to solve these phenomena. To be sure of that, a field study was necessary we undertake a learner’s case who suffers from trouble as absence of verbal communication with his/her environment and even user his/her friends, colleagues and her teachers as well, in the classroom. However, with the members of her family, she communicates easily and fluently. This study is mainly a trial to put away the communicative difficulties on one hand and to establish an efficient communication in class for an educational goal on another hand. According to this study, thanks to observation, participation and pedagogic meetings we come to this conclusion: The silent learner can be an obstacle to the pedagogic communication process because of the non-interaction between the teacher and the learner. The teacher’s communicative competencies influence the optional silent learner’s case through neglecting him. The non-verbal communication enables to solve the optional silent learner’s case by integrating him/her in class groups (group works) and it can decrease the psychological stress and the feeling of inability to speak in front of his peers.

Key words: communication, pedagogic communication, obstacle, optional silence case, difficulties of communication

*** المقدّمة**

للمدرسة دور هام في حقل التّربية والتّكوين، فهي مؤسّسة اجتماعية أُنشئت للنّهوض بتربية الأجيال الصّاعدة، وهي القلب النّابض لأيّ إصلاح تربويّ. لذلك، فهي مطالبة بالعمل المستمرّ على تحقيق أعلى قدر من التّكيّف للجيل الناشئ والتخلّص من أيّة ممارسة تؤدّي إلى اضطراب العلاقات بين المدرّس ومنظوريه. وإذا كان نجاح المدرّس أثناء القيام بمهمّته التعليميّة داخل المدرسة مرتبطا بعدّة عوامل، نذكر منها سيطرته على انفعالاته وردود أفعاله، وإدارة الفصل والتعلّمات، وإدارة التقييمات واحترام أخلاقيات المهنة والتصرّف كمهنيّ تصرّفا مسؤولا، فنعتقد أن الكثير من نجاحه أو فشله يعود إلى طريقة تواصله مع منظوريه، ودرجة قدرته على حلّ المشكلات الناتجة عن بعض العوامل والمتغيّرات الصفيّة التي تعيق عمليّة التّواصل داخل الفصل وتحدّ من فعاليته. حيث يكتسي التّواصل أهمية بالغة في قيام علاقات ماديّة ومعرفيّة بين الأفراد والجماعات. والتواصل هو ممارسة ضرورية لقطاعات عديدة منها: قطاع التّربية والتّعليم الذي تقوم بين أطرافه المختلفة علاقات تبادل المعرفة. ويمكن اعتبار التّواصل البيداغوجي من أهم حلقات العمليّة التّعليميّة التعلّميّة، وأيّ خلل يطاله أو يطال أحد مستوياته، يؤثّر في العمليّة التربويّة برمّتها، ويؤثّر بالتّالي على جودة المنظومة. لهذا، فإنّ عمليّات الإصلاح التّربوي والسعي نحو النهوض بالمنظومة التّربويّة في تونس، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار هذا

المكوّن الأساسي، فتعمل كل الأطراف الفاعلة في هذه المنظومة على خلق الظّروف الملائمة لتواصل أفضل. كما ندعو إلى إدراج هذا المفهوم في عمليّة التّكوين المستمرّ للمدرّسين. لكن في بعض الأحيان تشوب العمليات التواصلية بعض العوائق ومن بينها عائق الطفل الصامت اختياريا، والذي عرفه جاكوبسين بوصفه "أحد الاضطرابات النادرة التي تصيب الأطفال في مرحلة مبكرة، وتتمثل في العجز عن الحديث خلال بعض المواقف الاجتماعية. ويرتبط الاضطراب بالعنف الأسرى تجاه الأطفال، والنبذ والإهمال، وتهديد الأطفال بضرورة الالتزام بالصمت أحياناً.[1]". وقد قمنا باختيار هذا الموضوع، وهو حالة الصمت الاختياري، نظرا لأهميته، وتواجد هذه الظاهرة في أغلب مدارسنا اليوم. فكيف يمثل الطفل الصامت اختياريا عائقا تواصليا؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء تفشي هذه الظاهرة وخاصّة لدى أطفال المدارس الابتدائية؟ وما هي الطرق الكفيلة للوصول لمعالجتها أو الحدّ من استفحالها؟

المبحث الأوّل: الإطار النظري للبحث

* الإشكاليّة

المُدرّس هو المخطّط والمبرمج لأنشطة التعلّم داخل الفصل وهو السّاهر على إنجاح هذه الأنشطة. وبالتّالي فهو يحرص على تأسيس تواصل سليم وفعّال، ولن يتسنى له ذلك، إلا إذا كان على دراية بما يعترض هذا التّواصل من عوائق، سواء تعلّق الأمر بالتّواصل بين المدرّس والمتعلّم، أو بين المتعلّمين أنفسهم. وتعتبر حالة المتعلّم الصّامت اختياريا، من خلال صمته، رغم قدرته على الكلام من أندر اضطرابات التّواصل داخل الفصل، والتي يكتشفها المدرّس ويحاول مساعدة المتعلّم على تجاوزها وقد يكون ذلك بتوظيف آليّات التّواصل. ولذلك طرحنا االسّؤال المحوريّ التّالي:-

١- كيف يُساهم التّواصل البيداغوجي في علاج حالة "الصّمت الاختياري" ؟

ثمّ عملنا على تفريعه إلى تساؤلات فرعيّة، نوّد الإجابة عنها من خلال احتكاكنا بالميدان أوّلا، وبالعودة إلى الدراسات السّابقة ثانيا، آملين تقديم الإضافة حول موضوع حالة "الصّمت الاختياري" والّتواصل البيداغوجي. فكانت التّساؤلات كالتالي:-

٢- ما التّواصل البيداغوجي؟ وما هي عناصره وأهم أشكاله ؟ وما هي مُعيقاته؟

٣- ما الصّمت الاختياري؟ وماهي أسبابه وأهمّ أعراضه؟ وما هي طرق علاجه؟

٤- إلى أيّ مدى يُعيق اضطراب "الصمت الاختياري عمليّة التواصل داخل القسم؟

٥- ما تأثير الكفايات التّواصليّة للمدرّس على حالة المتعلّم الصّامت اختياريا؟

* الفرضيات

الفرضيّة هي احتمالات لأسباب مشكلة ما يضعها الباحث بناء على خبرته وسعة إطّلاعه وهي علاقة بين متغيّرين الأوّل مستقلّ والثّاني تابع وهي ليست حلولا جذرية لمشكلة البحث إنّما هي حلول مؤقتة تحمل الصّدق من عدمه. وتعتبر الفرضيّة "فكرة مبدئية نظريّة تربط بين الظّاهرة موضوع الدّراسة وبين أحد العوامل المسبّبة لها"[2].كما أنّها عبارة عن

[1] -Jacobson,T. (1995). Case study: Is slective mutism a manifestation of dissociative identity disorder? *Journal Am Acad Child Adoles Psychiatry* , 863-866. p863.

[2] -طعم الله خميّس .(2004) .*مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعية* .قرطاج تونس :بيت الحكمة، ص 07.

إجابة احتماليّة لسؤال مطروح في إشكاليّة البحث. وانطلاقا من هذه الإشكالية المحورية للدراسة، واستمرارا لمعالجتها حاولنا وضع تعميمات على شكل افتراضات وهي كالتالي :-

١- يعيق اضطراب "الصّمت الاختياري" عمليّة التّواصل داخل القسم.

٢- تؤثّر كفايات المدرّس التّواصليّة على حالة الطّفل الصّامت اختياريّا.

٣- يمكن علاج حالة "الصّمت الاختياري" لدى المتعلّم عبر التّواصل البيداغوجي.

*** دوافع اختيار الموضوع**

إنّ البحث التّربوي لا ينطلق من محض الصّدفة، بقدر ما تكون هنالك أسباب تدفع الطّالب لمعالجة أهمّ القضايا التي يريد دراستها للبحث عن الحلول الممكنة. واختيارنا لهذا الموضوع لم يكن اعتباطيّا بل جاء ثمرة عدّة اعتبارات منها الموضوعيّة والذّاتية.

أ- الدّوافع الموضوعية

للتّواصل أهمية بالغة في العملية التّعليمية، لذلك في كثير من الأحيان يُردّ الفشل الدّراسي إلى فشل في التّواصل بين المدرّس والمتعلّم بسبب معيقات متنوّعة وجب دراستها دراسة دقيقة من أجل محاولة تجاوزها. و في هذا الإطار تناولنا في بحثنا ظاهرة "الصّمت الاختياري" بصفة معمّقة، اعتقادا منّا بأنّها لم تأخذ حيّزا كبيرا في ما سبق من البحوث، خصوصا في ما يتعلّق بالجانب البيداغوجي، لعلنا نساهم ولو بالقليل في تطوير ما توصّل إليه الباحثون في هذا الموضوع، وخاصّة من حيث تركيزنا على الحلول المقدّمة.

ب- الدّوافع الذاتية

واجهتنا في أحد المدارس حالة مثيرة للاهتمام لطفلة ملتزمة بالصمت داخل المدرسة، رغم قدرتها على الكلام وسلامتها الصحيّة والبدنيّة، وعدم تبيّن أيّ نوع من الإعاقة المؤثّرة في النّطق. وبعد بحث مطوّل ومناقشة أعراض الحالة مع أخصائيّة تقويم النطق اكتشفنا أنّها تعاني من مشكلة تدعى "الصّمت الاختياري". فقرّرنا دراسة أثر هذا الاضطراب على عمليّة التّواصل داخل القسم ودور المدرّس في التّعامل مع هذا العائق و كيفيّة تجاوزه.

*** أهداف البحث**

تهدف هذه الدراسة التي قمنا بها حول حالة "الصّمت الاختياري" وتأثيرها على التّواصل البيداغوجي، إلى تطوير قدراتنا في حلّ مثل هذه المشكلات، واكتساب القدرة على التّعامل مع صعوبات التعلّم بصفة عامّة واضطراب "الصّمت الاختياري" بصفة خاصّة. بالإضافة إلى الانتقال بالعلاقة بين "الصّمت الاختياري" والتّواصل البيداغوجي من المعيق إلى العلاج: من الصّمت كمعيق للتّواصل داخل القسم، إلى التّواصل البيداغوجي كوسيلة لعلاج هذا الاضطراب. و يهدف بحثنا إلى محاولة مساعدة حالة تعاني من اضطراب الصمت الاختياري.

*** الجهاز المفاهيمي**

١- مفهوم التواصل

مفردة التواصل كما جاء في لسان العرب، تفيد"الاشتراك" واصله من وصل، يقال وصل الشيء وصلة ومنه وصل فلان رحمه يصله صلة. فالوصل ضد الهجران، والوصل خلاف الفصل. والتواصل ضدّ التّصادم[3]. وحسب معجم " le Petit Robert" فإنّ التّواصل، هو الإبلاغ والإطلاع والإخبار. أي نقل خبر ما من شخص إلى آخر. أي

[3] -ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين .(1990) *لسان العرب* .(éd الطبعة الأولى .(بيروت ,لبنان :دار الفكر للطباعة والنشر، ص 726.

إقامة علاقة مع شخص ما. كما يدل على الشيء الذي يتم تبليغه، والوسائل التقنية التي يتم التواصل بفضلها"[4].

٢- مفهوم التّواصل البيداغوجي

التّواصل البيداغوجي، هو "كل أشكال وسيرورات ومظاهر العلاقات التّواصلية بين المدرّس (أو من يقوم مقامه) والمتعلّم، أو بين المتعلّمين أنفسهم. إنّه يتضمّن نمط الإرسال اللّفظي وغير اللّفظي. كما يتضمّن الوسائل التّواصلية والمجال والزمان. وهو كذلك يهدف إلى تبادل أو نقل الخبرات والمعارف والتّجارب والمواقف، مثلما يهدف إلى التّأثير على سلوك المتلقي[5]. كما يدل التواصل على عملية نقل الأفكار والتجارب والمعارف وهو "تبادل للمعلومات والرسائل اللغوية وغير اللغوية، سواء أكان هذا التبادل قصديا أم غير قصدي بين الأفراد والجماعات"[6]. وأخيرا، يعتبر التواصل "الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور".[7]

٣- مفهوم العائق

العائق هو الحاجز أو العقبة والمانع. وهو كل متغير يؤدي إلى تراجع المعرفة وعدم حصول تقدمها. وتربويّا، يقصد بالعائق كلّ ما من شأنه أن يمنع أو يحدّ من فاعليّة التّراسل أو التّواصل بين أطراف العقد البيداغوجي، أو على أقلّ تقدير يطرح صعوبات في طريق التعلّم. والعائق أيضا، هو "كافة المؤشرات التي تمنع عملية تبادل المعلومات أو تعطيلها، أو تأخر إرسالها أو استلامها أو تشوه معانيها أو تأثر في كميتها[8] ".

٤- مفهوم حالة "الصّمت الاختياري"

عُرف مصطلح الصمت الاختياري عام 1877م على يد الطبيب الألماني كوسماول Kussmaul والذي وصفه بالافيزيا Aphasia أو الحبسة الكلامية. وسمّي هذا الاضطراب بعدة مسميات مثل رهاب الكلام، الصمت النفسي، خجل الكلام التباكم... وقد تم تعديله إلى مصطلح الصمت الاختياري في 1994م والذي اعتبر المفهوم النهائي لهذا الاضطراب باعتبار وأن الصّمت سلوك متعمد وإرادي من جانب الطفل[9]. وقد اتّفقت الدّراسات الحديثة في العقدين الأخيرين، ومن بينها التّصنيف الخاص بالجمعيـــة الأمريكية للأخصائيين النفسانيين، على استخدام مصطلح: "الصّمت الاختياري Mutism" Selective، بعد أن كان يُعرف ب:"الصّمت الانتقائي Mutism Elective ". وهذا ما نجده في

---

[4] -Robert Paul. (1981). *Le Petit Robert.* Dictionnaire universel sous la direction de ***Paul Robert*** , P 346.

[5] -فارابي وآخرون .(1994) .معجم *علوم التربية :مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك* .الرباط -المغرب :دار الخطابي للطباعة، ص 44.

[6] -أسليماني العربي وخديمي رشيد .(2003) .*قضايا تربوية، منشورات عالم التربية* .الدار البيضاء :مطبعة النجاح الجديدة، ص 31.

[7]-Cooly Charles. (1969). *Social organisation, cité in: J. Lohisse: La communication anonyme.* Paris: Ed. Presses Universitaires de France, P 42.

[8] -لخلوي سليمان وبن أحمد الهندي وحيد.(1991) .معوقات التّواصل الفعّال، ص 41 .

[9] -Kearney. C. (2010). *Helping children with selective mutism and their parents.* New york: Oxford University Press.

كثير من الدّراسات الحديثة[10]. والطفل المصاب بالصّمت الاختياري، لا يختار المواقف التي لا يستخدم فيها الكلام. فهو لا يملك القرار أن يصمت في المدرسة، وإنما هذا الصمت هو سلوك إجباري للطفل وليس اختياري. وبالتالي فإن كل وسائل العقاب والإجبار لا تؤدي إلى زوال هذا الصّمت. فالفكرة، أن هذا الطفل يشعر بالخوف وربما بالهلع داخل المدرسة، وهذا الخوف أو الإحساس بعدم الأمن هو ما يجعل الطفل يصمت[11].

المبحث الثاني: الإطار المنهجي للبحث

*** منهجية البحث**

يهتمّ بحثنا بحالة " الصّمت الاختياري" لدى المُتعلّم، وعلاقته بعمليّة التّواصل البيداغوجي. وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي القائم على وصف الظّواهر وتحليلها، نظرا لملائمته لطبيعة موضوع الدّراسة وفرضياتها، وهو المنهج الأنسب لهذا النّوع من الدّراسات. حيث "أنّ المنهج الوصفي، يهتم في تصوير ما هو كائن، أي الوضع الرّاهن أو الحادثة. فهو يصف خصائصها ومركّباتها، ويصف العوامل التي تؤثّر عليها، والظّروف التي تحيط بها. ويحدّد العلاقات الارتباطية بين المتغيّرات التي تؤثّر على تلك الظّاهرة. وانطلاقا من هذا التّصور الشّامل، يمكن التنبّؤ والاستنتاج بالأوضاع المستقبليّة التي ستؤول إليها تلك الظّاهرة[12].

وقد اعتمدنا في بحثنا، على دراسة الحالة، لأنه أسلوب يهتمّ بالدراسة المعمّقة لحالة من الحالات من كافّة الجوانب التي قد تؤثّر فيها، ويقع الاعتماد على اختيار حالة واحدة يقوم الباحث بدراستها. وهذه الحالة قد تكون وحدة إدارية أو إجتماعية، أو فرد واحد مثلا، وتكون دراسة هذه الحالة بشكل مستفيض وبعمق تدرس كافة المتغيرات المرتبطة بها، وتتناولها بالوصف الكامل(بشكل كيفي أكثر) والتحليل.

*** أهداف دراسة الحالة**

وتُعرف دراسة الحالة على أنها طريقة إجرائية تحليلية لمشكلة نفسية أو ظاهرة اجتماعية من خلال تحليل عميق للإحاطة بحالة معينة ودراستها دراسة شاملة[13]. وقد اعتمدنا دراسة الحالة لمساعدة المتعلّمة، على تحقيق التّوافق النّفسي والاجتماعي، ومحاولة التخفيف من الاضطراب وأثاره على عمليّة التعلّم. وكذلك مساعدة المدرّس، من خلال اقتراح حلول للتعامل مع الطفلة، ومع حالات أخرى مشابهة.

---

[10] -Gellman-Garçon E. (2007). Le mutisme sélectif chez l'enfant: Un concept trans-nosographique. *Revue de la littérature et discussion psychopathologique* , 42-58. P 50.

[11] -Muris P & Ollendick T.H. (2015). Children who are anxious in silence. *Selective Mutism* , A Review on Selective Mutism, the New Anxiety Disorder ... Clinical Child and Family Psychology Review, (18), 151-169. P 162.

[12] -كامل محمد المغربي .(2011) *أساليب البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية* .عمان، الأردن :دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص 95.

[13] -Oon. Ph. (2010). Playing with gladys a case study integrating drama therapy with behavioural interventions for the treatment of selective mutism. *Clin child psycho psychiatry , 15* (02), 215-230. P 221.

*** تقنيات البحث**

اعتمدنا في هذا البحث، على الملاحظة والمقابلات لجمع المعلومات التي تساعدنا على دراسة الحالة والتحقق من الفرضيات إضافة إلى الإستعانة بالوثائق والسجلات المكتوبة.

١- الملاحظة

هي عبارة عن عملية متابعة أو مشاهدة دقيقة لسلوك أو ظواهر محدّدة، أو أفراد محدّدين، خلال فترة أو فترات زمنية مضبوطة وضمن ترتيبات بيئية تضمن الحياد والموضوعية عند جمع البيانات أو المعلومات. وتهتمّ الملاحظة بالوصف والتّفسير أكثر من القياس والأرقام. وتهدف إلى تطوير فروض ونظريات، ومنها الملاحظة بالمشاركة، أين يقوم الباحث بدور إيجابي وفعّال في أحداث المُلاحَظ، حيث يُشارك الباحث في الظّاهرة موضع الدّراسة. كما تسمح الملاحظة بجمع البيانات من الميدان من أجل منح الباحث مسالك وسبل التفكير المساعدة على ضبط مشكلة البحث وتدقيقها[14]. وقد استعملنا خلال هذه الدّراسة، الملاحظة بالمشاركة، حيث "يمكن للملاحظة بالمشاركة أن تجمع بين أشكال مختلفة للعمل الميداني[15].

٢- المقابلة

هي حديث بين القائم بها والمفحوص، ويتمّ من خلالها جمع المعلومات عبر التّفاعل المباشر بين الأفراد. وهي عبارة عن معلومات شفويّة يقدّمها المبحوث من خلال لقاء يتمّ بينه وبين الباحث، أو من ينوب عنه والذي يقوم بطرح مجموعة من الأسئلة على المبحوثين، وتسجيل الإجابات على الإستمارة المخصّصة لذلك. ف "التبادل اللّفظي الذي يتم بين الباحث والمبحوث ويترتب عنه استخدام تعبيرات موجهة... هو مرتبط بهذا النوع من المقابلة"[16]. وقد إعتمدنا خلال هذه الدّراسة على المقابلة الحرّة المفتوحة، وقد كانت جماعيّة. وكذلك على المقابلة المقنّنة نصف الموجّهة، وقد كانت فرديّة.

*** مجالات البحث**

١- المجال المكاني

نظرا لأنّ موضوع الدراسة هو العلاقة بين حالة صمت المتعلّم والتّواصل البيداغوجي، فقد وقع اختيارنا على إحدى مدارس معتمدية أولاد حفوز من ولاية سيدي بوزيد "مدرسة حانوت عيسى" والتي تأسّست في أكتوبر 1960. وهي مدرسة ريفية عمومية وغير دامجة تحتضن 89 متعلّم (41 إناث-48 ذكور) وبها 9 مُدرّسين(3 إناث – 6 ذكور).

[14] -سبعون سعيد وجرادي حفصة .(2012) .*الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع* .الجزائر :دار القصبة للنشر. ص 83.

[15] -Pertz Henri. (1998). *Les méthodes en sociologie, L'observation.* Paris: La Découverte Collection. P 03.

[16] -طعم الله خميّس .(2004) .*مناهج البحث . مرجع سابق*. ص 82.

٢- التعريف بمجال الدراسة

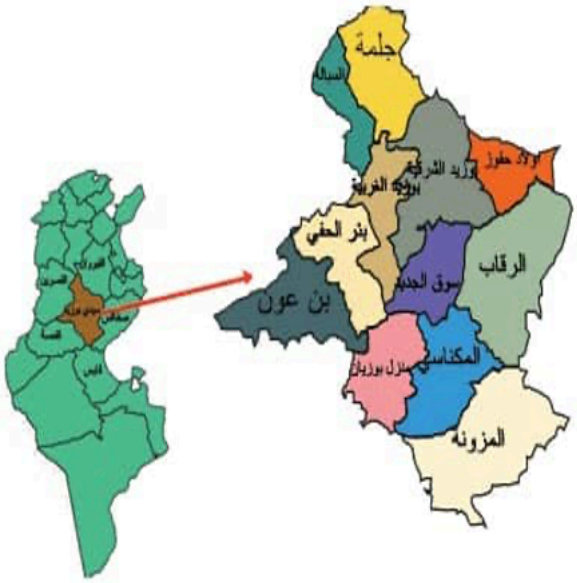

خريطة محافظة سيدي بوزيد

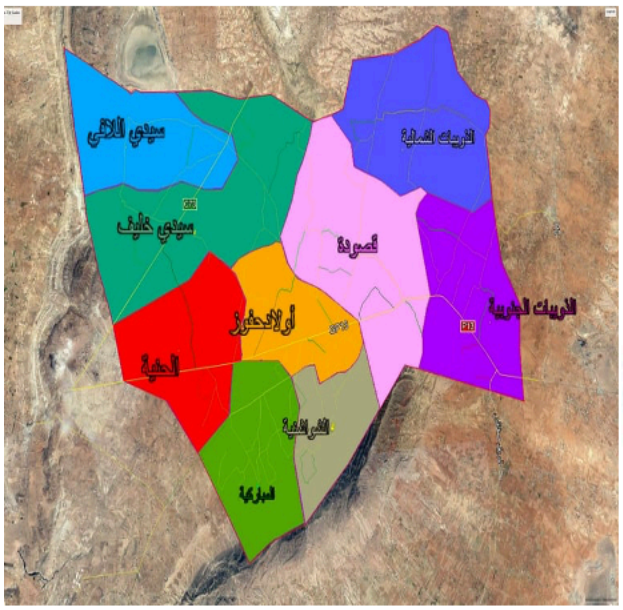

خريطة معتمدية أولاد حفّوز

مدينة أولاد حفوز من ولاية سيدي بوزيد، تعتبر من بين أكبر سبع معتمديات تونسيّة. تبلغ مساحتها 427 كم^2، ويقطنها 24127 ساكن. وهي منطقة فلاحيّة تمتاز بغراسة أشجار اللّوز، حيث يقام مهرجان سنوي بالمنطقة في كل موسم جني. وقد شهدت المدينة تطوّرا كبيرا منذ سنة 1975 تاريخ انتمائها إداريًّا إلى ولاية سيدي بوزيد. تقع المدرسة التي تحتضن مجتمع الدّراسة بمنطقة قصودة وهي منطقة ريفيّة جبليّة تتميّز بمناخها الرّطب ومجتمعها الطيّب. غير أنّ أغلب كبار السنّ والرّاشدين فيها انقطعوا عن الدّراسة في سنّ مبكّرة واشتغلوا بفلح الأرض. لذلك يغيب الوعي لدى جلّ الأولياء بأهميّة مزاولة أبنائهم للتعليم والتعلّم. كما تغيب لديهم ثقافة عرض أطفالهم على اختصاصي نفساني في حال ظهور أعراض غير طبيعية على سلوكيات وتصرفات أبنائهم.

*** عينة البحث**

العينة، هي مجموعة من العناصر أو الوحدات التي يتم استخراجها من مجتمع البحث، ويُجرى عليها الاختبار... وعليه يمكن القول أن العينة هي "مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معين[17]. فعند تناول موضوع أو ظاهرة اجتماعيّة، يجب تحديد مجتمع الدّراسة وهو عبارة عن مجموعة عناصر لها خاصيّة أو عدّة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى. وعيّنة البحث هي نموذج يشمل جانبا أو جزءا من محددات المجتمع الأصلي المعني بالبحث وتكون ممثلة له حيث تحمل صفاته المشتركة. وهذا النموذج يُغني الباحث عن دراسة كل وحدات ومفردات المجتمع الأصل خاصّة في حالة صعوبة أو استحالة دراسة كل تلك الوحدات. وبما أنّ مجتمع الدراسة يتناول مجموعة متعلمي السنة الثانية ومدرّسهم

[17] -أنجرس موريس .(2006) .*منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية*) .ص .ب .وآخرون (.Trad ,الجزائر :دار القصبة للنشر. ص 123.

من بين المجتمع الأصل المتمثّل في الإطار البيداغوجي ومتعلّمي المدرسة مجال الدّراسة، ونظرا لطبيعة البحث الذي يهدف إلى دراسة حالة متعلّم صامت اختياريا، فإنّنا سنعتمد على عينّة غرضية. وهي تلك العينة الّتي يختارها الباحث طبقا للغرض الّذي يستهدف تحقيقه من خلال البحث، والمتمثلة في متعلّمة تشكو من اضطراب "الصمت الاختياري".

المبحث الثالث: الإطار التطبيقي للبحث

١- نتائج الدّراسة من خلال زيارات المرافقة

جدول عدد 01 زيارات المرافقة المنجزة

الزيارة	تاريخها	مكانها	هدفها
عدد01	2018/11/21	المدرسة	ملاحظة المتعلّمة "أ"+ ملاحظة عملية التواصل داخل القسم.
عدد02	2018/12/14	المدرسة	ملاحظة تطوّر الحالة+ ملاحظة عملية التواصل داخل القسم.
عدد03	2019/01/22	المدرسة	ملاحظة الحالة خلال يوم مفتوح بالمدرسة.
عدد04	2019/01/23	منزل الحالة	ملاحظة سلوك الطفلة وتكوين فكرة عامة حول الأسرة ومحيطها.
عدد05	2019/04/16	المدرسة	تجربة مجموعة ألعاب تربوية وتحديد نسبة نجاحها
عدد06	2019/04/18	عيادة الطبيبة	زيارة الطبيبة في العيادة لمباشرة العلاج

المصدر:نتائج البحث الميداني

أ- زيـــــــــــــــارة مرافقة عدد 01

اقتصرت زيارة المرافقة عـــــــــــــــدد 01، على الملاحظة بالمشاركة، حيث واكبنا درسا شاهدا مع المربّي ولمدّة ساعة كاملة، لملاحظة كلّ من نشاط المتعلّمة وعمليّة التّواصل داخل القسم.

*** الملاحظات المتعلّقة بالمتعلّمة**

- اكتشفنا أن الأخت الصغرى للطفلة الصامتة اختياريا، تدرس معها في نفس القسم. ولاحظنا أنّها تُشارك وتتواصل مع مدرّسها وأترابها على عكس المتعلّمة "أ". كما تبيّنا أنّ نتائجها جيّدة بعد الاطّلاع على كرّاسات القسم، وكذلك من خلال شهادة المدرّس الذي أقرّ باختلاف النتائج بين الأختين. ونذكّر بأنّ المتعلّمة "أ" راسبة في السنة الأولى ابتدائي.

- تظهر على المتعلّمة "أ" علامات الحيرة والضّياع، شاردة الذهن وتميل إلى المثيرات الخارجيّة (النظر إلى الباب أو الجدران...)

- ورغم محاولات المدرّس المتعدّدة في التواصل مع الطفلة، إلاّ أنّها لا تنبس ببنت شفة طوال الحصّة وهو ما صرّح به المربّي، وما لاحظناه خلال فترة مكوثنا في القسم. وقد أشار تيرنير إلى "أن الأطفال الذين يعانون من اضطراب الصمت الاختياري، فإنّهم لا يتكلمون بسبب الخوف[18] ". وبالتالي فالخوف يؤثّر تأثيرا سلبيا على الطفل الصّامت اختياريا.

- لا تتجاوب المتعلّمة "أ" مع المربّي، ولا تنظر إليه ولا تشوّش ولا تعطّل سير الحصّة.

- صحّيا، بدت لنا أنّها في صحّة جيّدة، ولا تشكو من أيّ مرض أو إعاقة وهذا ما أكّده مدرّسها أيضا.

[18] -Turner M & Others. (2003). *Clinical distinctions between selective mutism and social phobia.* Florida: Florida International University.

– في أوقات الرّاحة تميل إلى الانزواء مع أختها ولا تتواصل مع بقيّة المتعلّمين.

– في محاولة للحوار معها خارج القسم وبمفردها، كانت تقتصر إجاباتها عن الأسئلة في كلمة واحدة وحسب. وكان يبدو عليها الخوف والتوتّر، رغم محاولاتنا المتكررة في تقليص حجم ذلك الخوف عبر التقرّب منها. وحسب العديد من الأخصائيين، فإنّ الصّمت الاختياري "يرتبط بالمخاوف الاجتماعية ويؤثر تأثيراً سلبياً على الطفل المضطرب، حيث يدفعه إلى عدم المشاركة بالأنشطة الصفّية داخل المدرسة، كما يؤثر سلباً على الأداء الأكاديمي لدى الطفل[19]. كذلك، يبدو أنّ المتعلّمة "أ" تعاني من مشاكل نفسية، تجعلها تهاب التّواصل داخل مجموعة غير عائلتها (رغم أنّها تدرس مع أترابها منذ مدّة طويلة). وقد علمنا، بأنّ الطّفلة "أ" ضاعت في السوق الأسبوعيّة وبقيت غائبة عن أمّها لفترة زمنيّة. وعند العثور عليها، لم تخبر أمّها بما حصل معها خلال فترة غيابها –حسب تصريح الأمّ–. وبالتّالي فقد تكون حالة الضياع والغياب عن المنزل للمدّة المذكورة، سببا رئيسيا لحالة "الصمت الاختياري" لديها.

*** ملاحظات متعلّقة بعمليّة التّواصل داخل القسم**

– يوفّر المدرّس مناخا ملائما وميسّرا للتواصل، يغلب عليه الطابع الرسمي.

– يحفّز المدرّس المتعلّمين للمشاركة وينظّم مشاركاتهم.

– يعبّر المدرّس بلغة سليمة مشافهة وكتابة ويستخدم خطابا تواصليّا ملائما للوضعيات التّواصليّة وللجمهور المستهدف.

ب– زيارة مرافقة عدد02

قمنا بمتابعة تطوّر الحالة، والتّركيز على تأثيرات الاضطراب الذي تعاني منه الطّفلة. كما قمنا بملاحظة كفايات المدرّس التواصلية وقد اعتمدنا في ذلك على شبكة ملاحظة.

*** الملاحظات المتعلّقة بالحالة**

– لاحظنا عدم تطوّر حالة المتعلّمة، وهو ما قد يعكس غياب الاهتمام بها.

– تأثيرات حالة الصّمت الاختياري على المتعلّمة:

– التأثير السلبي على مستواها التّعليمي، حيث لاحظنا ضعفا في تحصيلها الدّراسي، وخاصّة في ما يتعلّق بمهاراتها اللغويّة، ممّا تسبّب في تأخّرها عن زملائها.

– التأثير السلبي على مستقبل الطّفلة، حيث لم تتعلّم المهارات الاجتماعية، مثل الحديث عن نفسها والتّحاور مع غيرها. إضافة إلى زيادة الانطوائية والخجل لديها، وخصوصا إن لم يكن هناك وعي من حولها بالمشكلة التي تعاني منها. كما أنّ تأخر علاج الطفلة نظرا لغياب الوعي بضرورة العلاج النفسي لدى عائلتها، علاوة عن عجز المدرّس عن توصيف الحالة، حيث ربطها بالخجل الشديد حسب تعبيره فإنّ ذلك أثّر على حالتها النفسية. حيث أنّ المحيطين بالحالة المدروسة، لم يتمكنوا من توصيف الحالة كما ينبغي نظرا لغموض اضطراب الصمت الاختياري، وتشابكه مع عدّة اضطرابات نفسيّة أخرى قد تنتاب الطّفل، فالبعض يخفق في تشخيص الحالة، ويعتبرونها إعاقة توحّد[20]، ومن ثمّة يكون العلاج أصعب.

– أمّا بخصوص المدرّس، فقد تبيّن أنّه صعب المراس، ويعوزه الصبر في التعامل مع المتعلّمة. كما لم يرهق نفسه في تشخيص

[19] -Steinhausen. H,C & Others. (1996). Elective mutism: an analysis of 100 cases. *The American Academy , 35* (05), 606-614. P 609.

[20] -Angela E & others . (2005). *Helping your child with selective mutism. Publisher : New Harbinger Publications; 1st editio.*

حالة الفتاة، والبحث عن طرق علميّة لمساعدتها. وإنّما اكتفى بالضّغط عليها لتتكلّم.

– لاحظنا أنّه كلّما حاول المدرّس دفعها للتكلّم، ترتبك وتخجل. وفي بعض الأحيان تنطق بكلمة واحدة أو بالاقتصار على الإجابة ب "نعم" أو "لا" فقط.

– يراوح المدرّس بين التّواصل اللّفظي وغير اللّفظي، ويتجوّل في القسم ويراقب المتعلّمين.

*** نتائج شبكة ملاحظة كفايات المدرّس التّواصلية**

قمنا بملاحظة الكفايات التواصليّة اللفظيّة والكفايات التّواصليّة غير اللّفظيّة للمدرس.

*** الكفايات التّواصليّة اللّفظيّة**

يستخدم المدرّس لغة سليمة مناسبة لمستوى المتعلّمين. كما يساعدهم على التّواصل باستعمال العربيّة الفصحى. ويوجّه المتعلّمين غير المنتبهين، بينما لا يهتمّ بالمتعلّمة "أ". كما أنّه يخلق جوّا مناسبا للتعلّم، غير أنّه لا يُشجّع منظوريه على الحوار والمناقشة.

*** الكفايات التّواصليّة غير اللّفظيّة**

يتحلّى المدرّس بروح المرح أحيانا، ويعتمد التّواصل البصري. وينوّع حركاته التعبيريّة، ويُراعي استخدام الصوت بطبقات متنوّعة. غير أنّه لا يعتمد الإيماءات بالرأس، ولا يستعمل اليدين أثناء الشرح.

ج– زيارة مرافقة عدد03

قمنا بزيارة المدرسة مجال الدّراسة خلال يوم تنشيطي ترفيهي، لمتابعة نشاط المتعلّمة، وقيس مدى تجاوبها مع هذه الأنشطة المختلفة عن الأنشطة المعتادة داخل القسم.

– لاحظنا نشاط عادي للمتعلّمة "أ" ومشاركة فاعلة في الألعاب والمسابقات. حيث بدت الطفلة مستمتعة بذلك، لكن كان تواصلها مع أقرانها غائبا تماما.

وبالتالي فالمتعلّمة "أ" تتجاوب مع الألعاب، على عكس الأنشطة التعليميّة الروتينيّة التي عهدتها داخل القسم، والتي لا تتطلّب الكلام. وبالتالي فهي تستطيع الإندماج داخل المجموعة، في حال عدم التواصل معهم لفظيّا، أي بممارسة الألعاب فحسب. وفي هذه الحالة الظرف قد تغير وخرجت الطفلة عن ما هو مألوف داخل الفصل الدراسي.

د– زيارة مرافقة عدد04

قمنا بزيارة منزل المتعلّمة لجمع معلومات حول الحالة، ومحاولة التقرّب منها وتوطيد العلاقة معها.

– تعيش الطفلة في منزل صغير ومتواضع مع عائلتها المصغّرة المتكوّنة من 6 أفراد، الأب والأم و4 بنات. وتبدو عائلة الفتاة هادئة حيث يتعاون أفرادها لضمان ذلك الهدوء وتحقيق الاستقرار رغم ظروفهم الماديّة الصعبة.

– لقد شاهدنا خلال هذه الزيارة مجموعة من مقاطع الفيديو، قدّمتها لنا أختها الكبرى. حيث ظهرت لنا الطفلة في نشاط عادي داخل المنزل، وتتواصل بصوت واضح ومسموع. كما كان هنالك مقطع للمتعلّمة وهي تدرس رفقة أختها، وتجيب عن تساؤلاتها باستعمال جمل سليمة، وتتحدّث باللغة العربية الفصحى. وبالتالي فالقدرات الذهنية للمتعلّمة جيّدة ولا تعاني من أيّ قصور ذهنيّ يمنعها من التعلّم. وفي هذه الحالة، قد تلعب الأسرة دوراً حيوياً في تحسن حالة الطفل المضطرب وتغلبه على القلق. كما ينبغي التعاون بين أفراد الأسرة والمعلمين لتحقيق الأهداف العلاجية لهذه الظاهرة.[21]

[21] -Busse R.T & Downey J. (2011). *Selective mutism a three thiered approach to prevention and intervention contemporary.* School Psychologie. P 53.

- وعند محاولتنا التقرّب من الطفلة والتّواصل معها، أبدت تجاوبا، وكانت تجيب عن أسئلتنا بكلمة واحدة أحيانا، وتحرّكّ رأسها أحيانا أخرى للتعبير عن الرفض أو القبول معتمدة التواصل غير اللّفظي. بينما تلزم الصمت في وضعيات تتطلّب منها التحدّث بأكثر من كلمة أو كلمتين.

هـــ- زيارة مرافقة عدد05

رغم ضيق الوقت، والتزامات المدرّس، فقد حاولنا تقديم أنشطة باعتماد الألعاب بالنسبة للمتعلّمة "أ" (بيداغوجيا اللّعب)، وكان ذلك في إطار حصّة رياضيات ركّزنا فيها على المتعلّمة "أ".

من المهم الأخذ بعين الاعتبار أنه عند حدوث هذه الحالة لدى الطفل، فهو لا يكون صامتا بإرادته بل يكون غير قادر على التحدث. ولكن مع مرور الوقت، يصبح بعض الأطفال قادرين على توقع الأوقات التي يفقدون خلالها القدرة على الكلام ويعملون ما بوسعهم لتفاديها.

*** التحليل التأمّلي للحصّة**

- شاركت المتعلّمة في الألعاب، وكانت تظهر عليها بعض علامات النصر أمام ذلك النقص الذي كان يمنعها من المشاركة في الأنشطة المعتادة. وكانت إجاباتها جيّدة تعكس المستوى الأكاديمي الجيّد للمتعلّمة في مادّة الرياضيات.

- قمنا بمرافقة الحالة خلال فترة الرّاحة في ساحة المدرسة، وذلك بتشريك المتعلّمة في ألعاب مع أقرانها، فلاحظنا تجاوبها. ويتمثل قانون اللّعبة بأن يفرض على كل مشارك، طرح سؤال على نظيره في المجموعة، وإن أفلح في الإجابة يخرج طارح السؤال، وإن لم يُفلح يخرج الطرف المقابل. جاء دور المتعلّمة "أ" فطرحت السّؤال التّالي على أختها بصوت خافت "6+8 كم يساوي؟" وعند إجابة شقيقتها عن تساؤلها، شعرت الطفلة "أ" بلذة الانتصار من خلال مشاركتها.

٢- المقابلات

جدول عدد 02: المقابلات التي أجريناها مع المقربين من الحالة المدروسة

المقابلة	نوعها	تاريخها	مكانها	الجهة المستهدفة	هدفها
عدد01	مفتوحة استطلاعيّة مسحيّة	2018/11/21.	المدرسة	مدير المدرسة	التعرّف على مجال الدراسة ومجتمع البحث مع محاولة تحديد العيّنة.
عدد02	نصف موجّهة	2018/11/22.	المدرسة	المدرّس	أخذ بعض المعلومات حول العينة وتأثيرها على عمليّة التواصل البيداغوجي.
عدد03	مفتوحة	2019/02/22	المدرسة	الأولياء	توعيتهم بضرورة عرض الحالة على اخصائية نفسية لعلاجها.

المصدر: نتائج البحث الميداني

أ- مقابلة نصف موجّهة مع المدرّس

أخبرنا المدرّس بأنّ المتعلّمة "أ" لا تتكلّم داخل القسم أبدا، رغم أنّها لا تعاني من مشاكل في النطق. وبعد جلسة معه دامت حوالي ساعة، قدّم لنا العديد من المعلومات حول الحالة. واتّضح أنّ الطفلة تعاني من مشاكل نفسيّة ورهاب، قد يكون نتيجة حادثة تعرّضت لها من قبل. حيث فقدتها أمّها في سوق أسبوعيّة، وضلّت تائهة لفترة من الزمن قبل أن يتم العثور عليها لاحقا. كما أنّه كان يجبرها على الحديث فتشعر المتعلمة "أ" بالارتباك وأحيانا بالتوتّر، وبالرّغم من ذلك فهي لا تستجيب لتساؤلات المعلم، الذي استسلم في آخر الأمر، وأصبح يهملها و يتعامل معها كما لو كانت بكماء.

ب- مقابلة مفتوحة مع الأولياء

نتيجة لما لاحظناه خلال زيارة منزل الحالة من عدم تقبّل لحقيقة الاضطراب الذي تعاني منه الطفلة وعدم

اصطحابهم لها لزيارة الطبيب النفسي، رغم دعوتهم لذلك من قبل مدير المدرسة، فقد اجتمعنا بأولياء الحالة موضع الدراسة، لمحاولة طمأنتهم وتقريب حقيقة الاضطراب الذي تعاني منه ابنتهم. كما حاولنا توعيتهم بضرورة مباشرة الطفلة العلاج لدى طبيب نفسي، وقد أبدوا تجاوبهم بعد محاولات متواصلة. وحددّنا التاريخ الذي سنذهب فيه لزيارة الطبيبة بالمستشفى الجهوي بسيدي بوزيد، حيث تكفّلنا باصطحاب الطفلة للطبيب.

٣- دراسة حالة

رغم أنّ نسبة الأطفال المصابين بحالة الصّمت الاختياري تبلغ في المتوسط سبعة من بين كل عشرة آلاف طفل، فلا يجوز تجاهلهم مهما قلّ عددهم، خصوصًا أنّ العناصر التي تثير الضوضاء تلفت انتباه من حولها. إن ظاهرة الصمت الاختياري حسب هانس "تصيب 7 حالات بين 100 طفل يعانون من التجاهل وعدم التعاطف مع مخاوفهم النوعية تجاه المواقف الاجتماعية وتتفاقم الحالة بإهمال التدخل المبكر، مما يؤثر سلباً على الطفل خلال مرحلة المراهقة، كما أكدت هانس على أن أباء هؤلاء الأطفال كانوا يعانون من ارتفاع القلق والمخاوف الاجتماعية مما ساعد أطفالهم على اكتسابها[22]. إنّ العناصر الصامتة لن تجد في الغالب من يأبه بها، ولا ينبغي أن يفعل المدرّس ذلك. والأهمّ، ألاّ يحاول إجباره على الكلام ممّا قد يزيد الأمر سوءًا و يقلق الطفل.

أ- توصيف الحالة

الحالة المدروسة هي طفلة، وبحسب التعريف الدولي لمفردة طفل "فإنها تنطبق على كل شخص لم يبلغ الثامنة عشر من العمر و لم يصل بعد إلى سن الرشد"[23]. والمتعلّمة "أ" تبلغ سن السابعة من عمرها، ولدت ولادة طبيعية يوم 2011/05/07 في مستشفى أولاد حفوز، تعيش مع والديها وأخواتها في منزل متواضع، وتحيى حياة عاديّة وهادئة. إلى حين دخولها المدرسة سنة 2017، حيث لاحظ المدرّس أنها توثر الصّمت على الكلام، فلا تشارك أو تتكلم طوال الحصة، رغم المحاولات المتكررة من قبل المربي، لخلق مناخ نفسي يساعد الطفلة على التحدّث معه، رغم أنه صعب المراس ولا يتعامل مع منظوريه بلطف، مما قد يكون سببا في فشل محاولاته في التقرّب من المتعلّمة "أ". وبما أنّ الطفلة في صحّة جيّدة ولا تشكو من أمراض أو إعاقة ظاهرة، فقد عجز الإطار التربوي عن تحديد المشكل الذي تعاني منه الطفلة بشكل دقيق. وفي تصريح قدّمته والدة الطفلة للمدرّس، في إطار دراسة تشرف عليها وزارة الصحة -المستشفى الجهوي بسيدي بوزيد- وتحديدا، العيادة الخارجية للأمراض النفسية، أكّدت الأمّ بأن ابنتها تتكلم بصوت واضح ومرتفع في المنزل كما أنها كثيرة الكلام. وهذا ما دفعنا للتساؤل عن سبب هذا الصّمت؟ ولماذا تختاره الطفلة في هذه المواقف التي تتطلب منها التحدّث؟ وهذا يتطابق مع ما ذهب إليه كل من جابر وكفافي، عند تعريفهما للصمت الاختياري على أنه: "اضطراب نادر يحدث في مرحلة الطفولة، يتميز بالرفض

[22] -Hans-Christoph S & Others. (2006). A long-Term outcome study of selective mutism in childhood. *Journal of child Psychology And Psychiatry* , 751-756. P 754.

[23] -عنزي باسل علي .(2009) .*مفهوم الطفل وفقا لاتفاقية حقوق الإنسان* .القاهرة :الحوار المتمدن.

المستمر للحديث في معظم المواقف الاجتماعية، بما فيها مواقف الدراسة، على الرغم من قدرة الطفل على الكلام وعلى فهم اللغة"[24].

ب– التّقدير متعدّد الجوانب

* **الجوانب الجسمانية:** المتعلّمة "أ" البالغة من العمر 7 سنوات في صحّة جيّدة، سليمة الحواس ولا تشكو من أيّ إعاقة. كما تلقى اهتماما واضحا بنظافتها الشخصية، وهي ذات مظهر جميل وأنيق.

* **الإدراك المعرفي:** المتعلّمة "أ" تحصيلها الدراسي متدنّ رغم قدراتها العقليّة الجيّدة، كما أنّها راسبة بالسنة الأولى ابتدائي.

* **الجوانب السلوكية:** منعزلة عن الآخرين. وفي كثير من الأحيان تظهر عليها علامات القلق والخوف والخجل الذي يمنعها من التعامل مع الآخرين خارج نطاق العائلة.

* **الجوانب البيئيّة**

– **البيئة المادية:** تعيش في بيت متواضع مع عائلتها المكوّنة من 6 أفراد، والوضع المادي للعائلة متوسط،، حيث أنّ الأب عامل يومي، وهو الذي يعتني بالأسرة.

– **البيئة الاجتماعية:** علاقاتها الاجتماعية ليست جيّدة، فهي منعزلة وليس لها علاقات مع الآخرين، بل ترفض التّواصل معهم وتكتفي بعائلتها المصغّرة.

* **جوانب القوّة والضّعف:** تتمثل جوانب الضّعف لديها، في قلّة ثقتها بنفسها وبالآخرين. والخوف عند الحديث مع أيّ شخص خارج العائلة. والخجل الزائد عن حدّه، وشرود الذهن والخمول داخل القسم. إضافة إلى رفضها التامّ للتّواصل مع المربّي وأترابها. وتتمثّل مصادر القوّة لدى المتعلّمة "أ"، في الدّعم الّذي تتلقّاه من قبل والدتها، وتفهّمها للمشكل النّفسي الذي تعاني منه ابنتها.

ج– التشخيص

قد تكون المتعلّمة "أ" تعاني من حالة "الصمت الاختياري (Selective Mutism)"، نظرا لتطابق سلوكات المتعلّمة مع أعراض الاضطرابات النفسية الكلامية، التي يمتنع فيها الطفل بإرادته عن الحديث في المواقف الاجتماعية، بما فيها مواقف الدّراسة. مفضّلاً الصمت على الكلام، رغم عدم وجود أيّة علّة عصبيّة تمنعه من ذلك.

د– مخرجات الدّراسة المتعلّقة بالحالة

بعد مجموعة من الزيارات التي ساعدتنا على ملاحظة الحالة، ومقابلة كل من المدرّس وأسرتها وبالاستعانة ببعض الوثائق التي قدّمها لنا مدير المدرسة، وبناء على ما درسناه حول حالة "الصمت الاختياري"، يمكننا أن نقول بأنّ المتعلّمة تشكو من اضطراب "الصمت الاختياري"، وقد أثبتت لنا ذلك الطبيبة المشرفة على الحالة.

يطلق على هذه الحالة اسم "الصمت الاختياري"، فهو أحد المشاكل النفسية التي يتعرض لها الطفل في بيئة خارج مترله أو في مواقف اجتماعية دون أخرى. وقد يُدرج كذلك بأنه شكل من أشكال الرّهاب الاجتماعي. فالصّمت هنا، من اختيار الطّفل وليس بسبب خلل في حواسه أو نتيجة اضطراب نفسي.

والمتعلّمة "أ" واحدة من أطفال كثيرين مستعدين لتحمّل وضعيات صعبة مهما كانت حدّتها، كالرغبة في الخروج، وعدم القدرة على الإجابة. بشرط ألاّ يتحدثوا مع شخص غريب حتى وإن كان المدرّس نفسه. ولعلّ الاسم

[24] -جابر عبدالحميد وكفافي علاء الدين .(1990) .معجم *علم النفس والطب النفسي* .اجزء 03 القاهرة :دار النهضة العربية. ص-ص 1098-1099.

المعترف به عالميًا لهذه الحالة، وهو "الصمت الاختياري"، لا يعبر بدقّة عن الحالة التي تعيشها هذه الفئة من المجتمع، لأن الأمر ليس بيدهم. فالمصاب بهذه الحالة ليس أبكمًا، بل على العكس من ذلك، هو في الغالب كثير الكلام، لكن مع والديه فقط. فالبكم أو الصمت هو "اختياري يتميز بالرفض الثابت من الطفل للتحدث في المواقف الاجتماعية الهامّة، مشتملاً المدرسة، برغم قدرته على فهم اللغة وقدرته على الكلام.[25] فإذا كان هنالك شخص آخر غريبا عن العائلة المصغرة، توقّف –المضطرب– عن الكلام، أو اكتفى بالهمس في أذني والديه، لكنّه بالتأكيد لا يفعل ذلك باختياره. ولعلّ هذا التناقض الحادّ بين كثرة الكلام ووضوحه في البيت، والصّمت الكامل في الخارج (في المدرسة مثلا)، هو الذي يؤخّر اكتشاف هذا الأمر. لأن الوالدين قد لا يُلاحظان ذلك في السنوات الأولى من عمر الطفل، بل قد يشيد الكثيرون بهذا الصمت باعتباره دليلاً على الأدب الشديد أو الخجل الذي نعتبره في مجتمعاتنا العربية أمرًا ايجابيا. فمن عاداتنا ألاّ يقاطع الصغار الكبار في حديثهم وألا يبدوا برأيهم، طالما لم يطلب منهم أحد ذلك، فإذا صمتوا طويلاً كانوا مثاليين.

٤– تحليل معطيات الدراسة

أ– تأثير المتعلّم الصّامت اختياريا على عمليّة التّواصل البيداغوجي

حالة المتعلّم الصّامت اختياريا، تعتبر من بين حالات اضطرابات التّواصل النّادرة والتي تعيق عمليّة التّواصل داخل القسم، خاصّة مع ما لاحظناه من غياب الوعي لدى المدرّسين بهذه الحالة وأعراضها.

تعيق هذه الحالة عمليّة التّواصل البيداغوجي، نظرا للغياب التّام للتواصل بين الحالة ومدرّسها وأقرانها.

وهو ما يؤيّد الفرضيّة القائلة: "يعيق اضطراب الصّمت الاختياري عمليّة التّواصل داخل القسم" والتي تتطابق مع الواقع الذي عايشناه مع الطفلة الصامتة اختياريا.

ب– تأثير كفايات المُدرّس التواصليّة على حالة المتعلّم الصّامت اختياريا

فشلُ المدرّس في خلق مناخ نفسي مساعد على التّواصل، وعدم تشجيعه لجلّ المتعلّمين للتّواصل والتّنافس وتحفيزهم على المشاركة قد يُبقي المتعلّمة منعزلة عن عمليّة التّواصل داخل القسم، غير قادرة على التوّاصل اللفظي، ولا تجد ما يحفّزها لتجاوز ذلك العجز. كما أنّ غياب كفايات التّواصل غير اللّفظي لدى المدرّس، قد يخلق مسافة يغيب فيها التّواصل بينه وبين الحالة. ولعلّ تعويد الحالة على التواصل غير اللفظي، قد يُساعدها على تجاوز ذلك الاضطراب، من خلال القدرة على التّواصل مع جماعة القسم، وبالتّالي الإندماج فيما بينهم.

ج– دور التّواصل البيداغوجي في علاج حالة المتعلّم الصّامت اختياريا

المدرسة هي فضاء اجتماعي، من بين الفضاءات التي تلزم فيها المتعلّمة الصّمت، والذي تقضّي فيه الحالة معظم وقتها. وبالتّالي فعلاجها يرتكز بشكل كبير على مكوّنات هذا الفضاء ومتغيّراته. وقد اختصرنا في هذه الدّراسة، على تحديد دور التّواصل داخل القسم، في علاج حالة المتعلّم الصّامت اختياريا. حيث أنّ هذا الاضطراب، يعيق عمليّة التّواصل بدرجة أولى. وحسب ما أثبتته الدراسات، فإنّ الطّفل الصّامت اختياريا، يميل إلى هزّ رأسه عند عدم القدرة على الكلام. وبالتّالي فهو قادر على التّواصل غير اللفظي.

[25] -حمودة محمود .(1991) .*الطفولة والمراهقة، المشكلات النفسية والعلاج* .القاهرة :مركز الطب النفسي والعصبي للأطفال. ص 281

إذا يجب تحشيع المتعلّمة على التّواصل غير اللفظي، من خلال اعتماد الإشارات والإيماءات والرّسوم كبديل للتّواصل اللّفظي لإدماجها داخل مجموعة القسم، وإكسابها القدرة على المشاركة. ممّا قد يقلّل من نسبة الاضطراب لديها، ويكون ذلك عبر تعويض الأنشطة الشفوية، بألعاب ورسومات وأنشطة لا يحتاج فيها المتعلّم للكلام. "وتؤكد نظرية التحليل النفسي على أهمية التعامل مع حالات الأطفال ذوى الصمت الاختياري باعتبار كل طفل حالة فردية يجب أن يراعى خلالها تاريخ الحالة المرضية. ويرتكز العلاج بالتحليل النفسي على محاولة فهم الأحداث الماضية في حياة الطفل والصراع بين الطفل المضطرب والأسرة، لذا اهتمت النظرية بالعلاج الأسرى كأحد أهم الأساليب العلاجية، والمقابلات العلاجية الفردية والعلاج الفردي باللعب."[26]

٥- الإستنتاجات العامة

أ- قد تعيق حالة المتعلّم الصّامت اختياريا عمليّة التّواصل البيداغوجي بين الحالة، ومدرّسها وأترابها بصفة خاصّة، إذا ما عجز المدرّس عن تشخيص الحالة، ومعرفة طرق التّواصل معها. خاصّة وأنّ المدرّس يظنّ بأنّ المتعلّم يرفض التكلّم عمدا فيعاقبه ويجبره على الكلام.

ب- تؤثّر كفايات المدرّس التواصليّة على حالة المتعلّم الصّامت اختياريا، فإمّا أن يساهم في اقصائه من عملية التّواصل البيداغوجي بصفة خاصة، ومن جماعة القسم بصفة عامّة، أو أن تساعده كفاياته التّواصليّة على إدماجه داخل جماعة القسم وتشجيعه على المشاركة والتفاعل.

ج- -التّواصل البيداغوجي هو عمليّة تفاعل بين شركاء العمليّة التعليميّة التعلّميّة، ويرتبط نجاح هذه العمليّة بالعلاقات الوجدانيّة والعاطفيّة بين المدرّس والمتعلّمين. لذلك يقتضي تحقيق تواصل فعّال وناجح، مع توفير مناخ نفسي عاطفي جيّد، وتوطيد العلاقة بالمتعلّمين.

د- قد يُساعد هذا التّواصل، وخاصّة التّواصل غير اللّفظي، في علاج حالة المتعلّم الصّامت اختياريا من حيث ادماجه داخل جماعة القسم. والتخفيف من حدّة الضغط النفسي. والإحساس بالعجز أمام عدم القدرة على الكلام كبقيّة أترابه. وبالتّالي فالتّواصل البيداغوجي، قد يساهم في علاج حالة المتعلّم الصّامت اختياريا، وذلك من خلال توظيف الألعاب التربوية الصامتة، والدمى المتحرّكة، والرسوم والتركيز على العمل ضمن مجموعات.

*** التّوصيات**

١- ندعو كافّة المدرّسين إلى عدم إجبار الطفل على الكلام، وتشجيعه على الحديث، مهما كان بسيطاً وتفهّم وضعه وخوفه.

٢- كما ندعوهم إلى منح الثّقة للطفل الصامت اختياريا باعتباره أنّه سيتخلص من هذه المشكلة إن آجلا أم عاجلا.

٣- يجب عدم إشعار المتعلم بأنّ قلقه وخوفه محلّ سخرية الآخرين. إضافة إلى تعليمه كيفيّة مواجهة المواقف الحرجة والصعبة، وعدم تدخل المُربّي في مواجهة الطّفل للصّعوبات.

٤- تدريب الطّفل على كيفيّة التّعبير عن قلقه ومخاوفه، وتزويده بشحنة معنويّة تساعده في ذلك. -اللّعب معه بشكل منفرد لدعم العلاقة بينه وبين الطّرف المقابل، وتشجيعه على الإجابة اللّفظيّة مع محاولة التّوقّف عن استخدام الأسئلة التي تكون إجاباتها بنعم أو لا.

---

[26] -Cohan S, & others. (2006). Why developmental psychopathology perspective on selective mutism is needed. *Journal of Developmental & Behavioral Pediatrics , 04* (27), 341-355. P 348.

٥- إسناد بعض الأنشطة والمهام للطفل الصّامت، لإثبات وجوده داخل الصّف، والشعور بأنّه جزء مكمّل بالفصل. وأنّ له دور إيجابي ومستقل، لأنّ ذلك يقلّل من قلقه وتوتّره ويُساعده على تجاوز حالة الصمت الاختياري.

٦- وأخيرا يجب تفهّم كون أعراض هذا الاضطراب ليست متعمّدة، وهذا من شأنه أن يُقلّل من الإحباط والغضب الذي يظهره المعلّمون في كثير من الأحيان.

*** الخاتمـــــــة**

يتعرّض الأطفال في مراحل نموّهم المختلفة إلى مجموعة من التّداخلات والتّحديات التـــي تخلق جواً من التّشتت والارتباك والتوتّر، مما قد يؤثّر سلباً على كثير من جوانب نموّهم. بحيث تظهر مجموعة من الأعراض أو الظواهر النّفسية التي تحتاج إلى التّدخل النّفسي بشكل أو بآخر. ويعتبر "الصمت الاختياري" إحدى هذه الاضطرابات. ويقع الدور الأكبر في اكتشاف هذه المشكلة على عاتق المدرّسين في المدرسة. وقد ركّزنا في بحثنا على دور المدرّس بصفة عامة، وعلى عملية التّواصل البيداغوجي بصفة خاصة. ومثل أي اضطراب، فإنّ التدخّل المبكّر، يُجنّب الطفل الأثار السلبية للصمت الاختياري، ويُعتبر الوعي بأبعاد مشكلة الصمت الاختياري للطفل من قبل المدرّس، من أهم العوامل التي تُساهم في تقليص الخطورة وتداركها. فدور المُدرّس لا يقتصر على التدريس فحسب وإنما يجب ملاحظة الطفل عند الإحساس بالمشكلة، وإعلام أسرته بذلك، والتعاون معهم على ايجاد الحلول المناسبة. ومن الضروري أيضا، تحفيز الطّفل على التّواصل اللّفظي وغير اللّفظي، ومنحه الفرصة للمشاركة وتحقيق الاندماج داخل المجموعة. ولا يجب الإلحاح على الطفل بالكلام أمام أترابه لكي لا يكون محط الأنظار، فيزداد الخوف لديه، بل على خلاف ذلك، يجب إعطائه الوقت الكافي للتحدّث، وتعزيز خطواته الناجحة وتحفيزه بكلمات تشجيعيّة، لمنحه الثقة بنفسه.

*** المراجع**

أولاً- المراجع العربية

ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين .(1990) .*لسان العرب* . الطبعة الأولى .بيروت ,لبنان :دار الفكر للطباعة والنشر.

أسليماني العربي وخديمي رشيد .(2003) .*قضايا تربوية، منشورات عالم التربية* .الدار البيضاء :مطبعة النجاح الجديدة.

أنجرس موريس وآخرون. (2006). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية* .الجزائر :دار القصبة للنشر.

جابر عبدالحميد وكفافي علاء الدين .(1990) .*معجم علم النفس والطب النفسي* .جزء 03. القاهرة :دار النهضة العربية.

حمودة محمود .(1991) .*الطفولة والمراهقة، المشكلات النفسية والعلاج* .القاهرة :مركز الطب النفسي والعصبي للأطفال.

سبعون سعيد وجرادي حفصة .(2012) .*الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع* .الجزائر :دار القصبة للنشر.

طعم الله خميّس .(2004) .*مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعية* .قرطاج تونس :بيت الحكمة.

عتري باسل علي .(2009) .*مفهوم الطفل وفقا لاتفاقية حقوق الإنسان* .القاهرة :الحوار المتمدن.

فارابي وآخرون .(1994) .*معجم علوم التربية :مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك* .الرباط –المغرب :دار الخطابي للطباعة.

كامل محمد المغربي .(2011) .*أساليب البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية* .عمان، الأردن :دار الثقافة للنشر والتوزيع.

لخلوي سليمان وبن أحمد الهندي وحيد .(1991) .*معوقات التّواصل الفعّال* .

ثانياً– المراجع الأجنبية

Angela E & others . (2005). *Helping your child with selective mutism. Publisher : New Harbinger Publications; 1st editio.*

Busse R.T & Downey J. (2011). *Selective mutism a three thiered approach to prevention and intervention contemporary.* School Psychologie.

Cohan S, & others. (2006). Why developmental psychopathology perspective on selective mutism is needed. *Journal of Developmental & Behavioral Pediatrics , 04* (27), 341-355.

Cooly Charles. (1969). *Social organisation, cité in: J. Lohisse: La communication anonyme.* Paris: Ed. Presses Universitaires de France.

Gellman-Garçon E. (2007). Le mutisme sélectif chez l'enfant: Un concept trans-nosographique. *Revue de la littérature et discussion psychopathologique* , 42-58.

Hans-Christoph S & Others. (2006). A long-Term outcome study of selective mutism in childhood. *Journal of child Psychology And Psychiatry* , 751-756.

Jacobson,T. (1995). Case study: Is slective mutism a manifestation of dissociative identity disorder? *Journal Am Acad Child Adoles Psychiatry* , 863-866.

Kearney. C. (2010). *Helping children with selective mutism and their parents.* New york: Oxford University Press.

Muris P & Ollendick T.H. (2015). Children who are anxious in

silence. *Selective Mutism* , A Review on Selective Mutism, the New Anxiety Disorder ... Clinical Child and Family Psychology Review, (18), 151-169

Oon. Ph. (2010). Playing with gladys a case study integrating drama therapy with behavioural interventions for the treatment of selective mutism. *Clin child psycho psychiatry , 15* (02), 215-230.

Pertz Henri. (1998). *Les méthodes en sociologie, L'observation.* Paris: La Découverte Collection.

Robert Paul. (1981). *Le Petit Robert.* Dictionnaire universel sous la direction de ***Paul Robert.***

Steinhausen. H,C & Others. (1996). Elective mutism: an analysis of 100 cases. *The American Academy , 35* (05), 606-614.

Turner M & Others. (2003). *Clinical distinctions between selective mutism and social phobia.* Florida: Florida International University.